مدينة بابل الأثرية دراسة تخطيطية لفلسفة المكان الحضاري

أ.د. صفاء جاسم الدليمي & أ.م.د.رافد موسى عبد

جامعة القادسية / كلية الآداب

الخلاصة :

كان اختيار مدينة بابل موفقاً بالنسبة للعالم القديم لأنها تقع بين الصحراء من جهة ووادي دجلة والفرات من جهة اخرى ، إذ يتوسط موقعها بين اكثف مراكز العمران في العراق ، ظهرت أهمية موقع المدينة من خلال نموها وتخطيطها لأنها تقع ضمن منطقة سهلية ذات تربة خصبة ساعدت على تفاعل الإنسان مع الأرض انتج مدينته وحضارته وفن عمارته من خلال البنية المعمارية الدينية والعامة فكان اختيار المدينة على نهر الفرات أثر في مناخها وفي تلطيف جوها صيفاً وكذلك في توزيع السكن وبقية استعمالات الأرض الأخرى ، إذ اصبحت المدينة آنذاك من مدن العواصم ومن المدن المحصنة في العراق القديم وظلت عاصمة الجنوب ووسط العراق لفترات طويلة ، بلغت مساحتها عشرة ملايين متر مربع (١٠كم^{٢}) وبلغ محيطها (١٦,٥كم) ، توزعت استعمالات الأرض الحضرية فيها بين الضفتين اليمنى واليسرى للنهر في المدينة (٢٤شارعاً) اثنان رئيسيان متعامدان اشهرها شارع الموكب الذي يمر عبر بوابة عشتار وينتهي عند الزقورة (البرج المدرج) ، تميزت مدينة بابل بأنها عاصمة للساميين الذين هجروا موطنهم الى ما بين النهرين والتي سميت بالأسماء السامية (باب الاله او باب ايل).

لقد مارس المخططون والمهندسون البابليون افكارهم وفلسفتهم الفكرية يوم دعت الحاجة الى انشاء المدينة طبقاً لأغراضها المختلفة فكان تخطيط المدينة يؤدي اغراض دفاعية وعسكرية ودينية وسياسية وتجارية وعلمية عاصرت المجتمع خلال جميع مراحل تطوره التاريخي وصورت ميوله كيف عاش ؟ وكيف احس ؟ وكيف فكر وقدر ونفذ ؟ حتى اعدت بابل من عجائب الدنيا السبع (Seven Wonders)لعظمة وفلسفة فن تخطيطها واستعمالات أرضها الحضرية والعمرانية.

المقدمة :

الموقع الجغرافي لأي اقليم Region يمكن التعبير عنه بطرق عدة تختلف بأختلاف اتجاهات الباحثين ولعل اشملها هو ان يقال انه مكان على سطح الأرض بين ما يكتنفه من ظاهرات طبيعية وظاهرات اخرى بشرية، تمثل هذه الظاهرات بنوعيها المقومات التي تقوم عليها احتمالاته او

خصائصه.[١] ان اساس فكر الموقع هو اختزال للاقليم او استقطاب للمكان في نقطة، فاذا حللنا هذا المركب إلى عناصره الاولية وهو من عنصرين هما الاطار المساحي وخطوط الحركة ووسائل المواصلات بين الموقع والاطار المساحي، وقيمة الموقع هو حاصل ضرب الاطار المساحي في خطوط الحركة.[٢]

١- شخصية الموقع المكاني لمدينة بابل:

اكد راتزل على ان المدن مرتبطة ارتباطاً حيوياً بالطرق، كما واشار لابلاش ان الطرق صنعت المدن، ويعبر عن المواقع انها الاماكن الحرجة والنقاط الحساسة الحيوية على صفحة اللاندسكيب Landscape بمعناها الطبيعي والبشري[٣] ان اختيار موقع مدينة بابل كان موقعاً موفقاً بالنسبة للعالم القديم، فالصحراء من جهة ووادي دجلة والفرات من جهة اخرى، اذ يتوسط موقع بابل مناطق العمران في العراق القديم، وان تفسير شخصية بابل هذه الشخصية العظيمة هي التفاعل_ أئتلافاً او اختلافاً بين بعدين اساسيين في كيانها وهما الموضع Site والموقع Situation. فالموضع نقصد به البيئة الطبيعية بخصائصها وحجمها ومواردها في ذاتها، اما الموقع فهو الصفة النسبية التي تتحدد بالنسبة إلى توزيعها الأرض والناس والانتاج حول الاقليم، وتضبطه العلائق المكانية التي تربطه بها، للموضع خاصية محلية داخلية ملموسة، اما الموقع هو فكرة هندسية غير منظورة.[٤]ولهذين العنصرين الجوهريين والعلاقة المتغيرة بينهما نفسر شخصية بابل الكامنة التي كفلتها جغرافية نادرة.

اذ تميزت بابل بانتشار تجارتها الداخلية والخارجية على حد سواء وهذا ما تشير اليه المراسلات ووثائق البيع والشراء المدونة باللغة البابلية مع العالم السامي آنذاك.

وكانت معظم أراضي بابل تعتمد على نهر الفرات الذي ساعد على ازدهارها وعمرانها، حتى اصبحت جنة العراقيين وحديقة بلاد آسيا القديمة، ان الفاعلية الايجابية للإقليم تتزامن بعيداً عبر الماضي وخلال التاريخ لأنه بالدور التاريخي يمكن ان نتعرف على التعبير الحر للشخصية الاقليمية للمكان، والشخصية الاقليمية لبابل شيء اكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص وتوزيعات الاقليم وتفردها وتميزها بين سائر المناطق، وتريد ان تنفذ إلى روح المكان لتستشف عبقريته الذاتية التي تحدد شخصيته الكامنة، ومن الواضح ان مثل هذه النظرة ليست تحليلية دائماً وإنما هي تركيبية في الصف الأول ونظرة واسعة عالميه، وبديهي كذلك انها لا تقتصر على الحاضر وانما هي تترامى بعيداً عبر الماضي وخلال التاريخ، لأنه بالدور التاريخي وحده يمكن ان نتعرف على الفاعلية الايجابية للإقليم وعلى التعبير الحر للشخصية الاقليمية للمكان.

٢- السهل الرسوبي ونشوء حضارة بابل :

استأثرت الدراسات الاثارية والحضارية بجغرافية حوض الخليج العربي ومنطقة السهل الرسوبي الجنوبي باهتمام الباحثين، لما لها من صلة وثيقة بأقدم حضارة بشرية معروفة الآن، تلك الحضارة نشأت وازدهرت في هذا السهل من جنوب ووسط العراق المعروف بالمنطقة الرسوبية الدلتاوية.(٥) اختلفت الأراء في كيفية تكوين هذا السهل وعلاقته بالخليج العربي، كان الاعتقاد السائد بين الباحثين والمؤرخين ان ساحل الخليج العربي كان قد اتخذ له قبل سنة ٤٠٠٠ ق. م. شاطئاً طبيعياً عند بلدة هيت على نهر الفرات وعند سامراء على نهر دجلة وان جنوبي العراق بين هيت وسامراء إلى ساحل الخليج الحالي كانت مغمورة بمياه البحر آنذاك ونتيجة تراكمات الغرين من مياه نهري دجلة والفرات وفيضاناتهما المتتالية تحول بحر هذه المنطقة إلى ارض يابسة حتى وصل الساحل إلى حده الحالي في الجنوب، ومن الذين ايدوا هذه النظرية الخبير الآثاري المستر سيتون لويدSeton lioyd في كتابه آثار بلاد الرافدينThe Archaeology of Mesopotamia واذا سلمنا بهذه النظرية يكون ساحل الخليج العربي قد تقدم شمالاً بما يساوي (٦٨٠كم)، ولكن نجد ان حضارة العبيد الواقعة قرب اريدو ظهرت قبل الالف الخامس ق. م. فكيف اذن ان ساحل الخليج في الالف الرابع ق. م. كان عند مدينة هيت واستمر الجدال حول هذه النظرية حتى نشر الباحثان الجيولوجيان ليس وفالكونLees and Falcon مقالاً سنة ١٩٥٢ في المجلة الجغرافية البريطانية اوضحا فيه انه لا يوجد دليل تاريخي على ان ساحل الخليج العربي كان في يوم ما بعيداً عن حده الحالي وان انهار دجلة والفرات والكارون لم تعمل على بناء دلتا تتقدم إلى الامام بل تقوم بتفريغ حمولتها من الرواسب الغرينية في منخفضات القسم الجنوبي من السهل الرسوبي، وان الحوض الذي يشمله هذا القسم بدأ ينخفض ولا زال مستمراً في الانخفاض بسبب ثقل الترسبات وبسبب تحركات باطنية تكتونية اعقبها انحناء محدب أدى إلى ابتلاع باطن الأرض مئات الالف من الاقدام المكعبة من الرواسب تصل إلى الحوض سنوياً دون ان يزول الماء من فوق الأرض، وان هناك توازن بين نسبة الهبوط وبين الكميات الغرينية التي تترسب في الحوض الامر الذي جعل المنطقة تحافظ على وضعها الطبيعي دون حدوث اي تغيير في مظهرها، لاقت نظرية (ليس وفالكون) القائلة بحدوث هبوط مستمر في الأرض جنوب العراق نتيجة لتحركات باطنية تكتونية متواصلة منذ اقدم العصور إلى يومنا هذا تأييداً من الخبراء الجيولوجيين والباحثين بعد ذلك توصلت دراسة البعثة الالمانية تحت اشراف العالم ه. جي. النيزينH.J.Lenzen من عام ١٩٥٤- ١٩٥٥ ان النصف الاول من الالف الرابع ق. م. كنت له اهمية كبيرة في جنوب بلاد الرافدين ويرجع ذلك لعاملين هما:

١ – تناقص مستوى سطح البحر لأول مرة .

٢ – تبدل المناخ إلى مناخ اكثر اعتدالاً .

كان هذان العاملان مشجعان للهجرة إلى هذه المناطق فالأرض خصبة في السهل الجنوبي ولم تعد معرضه كالسابق لخطر الفيضان، وان الهجرات من جزيرة العرب بدأت منذ سنة ٩٠٠٠ ق. م. وهو ما يمثل الاستيطان على نهر الفرات في سوريا يعقبه الاستيطان في العراق في حدود (٦٠٠٠– ٥٠٠٠ ق. م.) وهذا يتفق مع اول هجرة للساميين من جزيرة العرب بعد الدورة الجليدية الرابعة، وان تفاعل الإنسان العراقي مع بيئته والسيطرة عليها انتج حضارته الاصلية تلك هي حضارة وادي الرافدين التي ترجع إلى سنة (٥٠٠٠ ق.م.).[٦]بعد ان اقام مراكز السكن والعمران منذ عهد العبيد.

٣– الري والحضارة

منذ الأزل كان الماء وما زال مصدراً للحياة والازدهار إذ استخدم كأداة للأعمار وكانت تنظيمات الري ومشاريعها الزراعية شأن في اقامة الحضارة التي تسير معها جنباً إلى جنب في مسيرة تطورها وتقدمها، كما اكد ذلك الباحثيين جايلد وفرانكفورتChilde and Fringfourtعلى دور الري في تقدم الحضارة، وذهب بعض الباحثين إلى ابعد من ذلك ان الحاجة لتنظيم الري والزراعة هي التي خلقت الحكومة. وان الحضارة القديمة في العراق بدأت عندما بدأ الإنسان يكتشف سبل ايصال الماء إلى الأرض ومن تجاربه في تنظيم الري شق الجداول وانشاء السدود وان خزانات الري في التاريخ ارتبط بنشؤ الحضارة وتطورها في العراق في العصور التاريخية بنهري دجلة والفرات وكان العراق بحكم خصائصه الجغرافية وبطبيعة نهري دجلة والفرات من اقدم البلاد التي مارست الري في زراعة اراضيه ولا تزال آثار تلك الاعمال نشاهدها منبعثه في مختلف انحاء العراق ومنها مدينة بابل، فالري والحضارة صنوان لا يفترقا حيثما وجدت الحضارة وظهر التمدن ازدهرت معها الزراعة التي تعتمد على الري وحيثما وجد نظام الري ازدهرت معه الحضارة، وبعد ان هاجر السكان من جزيرة العرب في اعقاب الدورة الجليدية الرابعة اثر الجفاف الذي حل ببلاد العرب نقلوا معهم معارفهم النهرية إلى مستوطناتهم الجديدة في الهلال الخصيب وبخاصة المستوطنات التي اسسوها في بلاد وادي الرافدين سواء في شمال الوادي او عندما انتقلوا إلى جنوب العراق ووسطه اذ اسسوا حضارة (تل العبيد واريدو والوركاء) من سنة (٥٠٠٠–١٨٠٠ق. م) ثم حضارة كيش وهي حضارة جنوب بلاد الرافدين التي ازدهرت في العراق في عصور ما قبل التاريخ وكانت حضارة الوركاء (٣٨٠٠– ٣٥٠٠ق.م) وحضارة العصر البابلي القديم سنة (٢٠٠٤– ١٠٣٠ق.م) وحضارة العصر البابلي الحديث (١١٠٠– ٥٣٩ ق.م) وفي عهد الملك نبوخذ نصر (٦٢٥– ٥٦٢ ق.م) جدول (٢،١) لم يعد نهر الفرات يفيض كما كان في السابق إذ قام المهندسون العراقيون القدماء في القرن السادس ق. م. بلجم هذا النهر

الجامح واخضعوه تماماً لسلطان الإنسان وعززوا النهر بالسدود في بعض المناطق ولم يعد النهر باستطاعته تبديل مجراه كما يشاء، لقد لعب الري في حياة بلاد بابل دوراً ذو اهمية استثنائية فعلية يتوقف حال الزراعة التي تشكل ركناً وحيداً من اركان اقتصاد البلاد، والمنظومة الاروائية المنشأة منذ عصور كانت تعزز باستمرار من صيانه وتوسيع كما كانت الاعمال الاروائية تجري بشكل متواصل والتي تبذل لها جهود جباره من قبل السكان إذ ان القنوات الرئيسة كانت تشيد من قبل الدولة بناءاً وتعميراً .

جدول (١) عصور ما قبل التاريخ في العراق

العصر	الفترة الزمنية
العصر الحجري القديم والمتوسط	٥٠٠٠٠٠- ١٠٠٠٠ ق. م.
العصر الحجري الحديث	١٠٠٠٠- ٥٥٠٠ ق. م.
عصر ما قبل السلالات	٧٠٠٠- ٢٨٠٠ ق. م.
١ – حسونه	٧٠٠٠- ٦٠٠٠ ق. م.
٢ – ملف	٦٥٠٠- ٦٠٠٠ ق. م.
٣ – العبيد	٥٠٠٠- ٤٠٠٠ ق. م.
٤ – الوركاء	٤٠٠٠- ٣١٠٠ ق. م.
٥ – جمدت نصر	٣١٠٠- ٢٨٠٠ ق. م.

المصدر : www.reference. Wordsmith.com

جدول (٢) عصور فجر السلالات في العراق

العصر	الفترة الزمنية
فجر السلالات الاول	٢٧٠٠- ٢٦٠٠ق. م.
فجر السلالات الثاني	٢٦٠٠- ٢٥٠٠ ق.م.
فجر السلالات الثالث	٢٥٠٠- ٢٣٥٠ ق. م.

المصدر : www.reference.wordsmith.com

٤- البابليون يرسمون خريطة العالم وموقع بابل منها (خريطة الدنيا)

Babylonian map of the world or the mappa mundi

نشأت عند سكان وادي الرافدين الأقدمين بداية ما نسميه علم البلدان والجغرافية وكان اهل المعرفة في تلك الحضارة مولعين بالتفكّر في الكون ومركز بلادهم وموقعها منه بالنسبة للبلدان الاخرى، ومما يقال عن فكرة البابليين لما في هذه الأرض انهم تصوروا الأرض وما فيها صورة او نسخة لما في السماء، فالفرات ودجلة وجميع الأرض والبلدان وحتى المعابد صور ثانية، لأصول موجودة في السماء.[٧]إذ قسموا الأرضإلى ثلاث مناطق، المنطقة العليا يسكنها البشر والأرض الوسطى موضع الحياة ومنطقة اله الحياة (ايا ويلي) والأرض السفلى التي فيها موضع ارواح الموتى كما قسموا الأرضإلى اربعة قطاعات او الاركان او أربع جهات اصلية تقابل كل جهة قطراً عظيماً من الاقطار وتسمى باسمه، فالجنوب بلاد عيلام والشمال بلاد اكد والشرق بلاد السوباريينوالكوتيين (الاشوريين) والغرب بلاد الاموريين اي جهات سوريا، لقد خلف لنا البابليون منذ اقدم ازمانهم طرق مسح الاراضي وقياسها واخذ مخططاتها وعرفوا بتخطيط الخرائط لمساحات اوسع اي خرائط البلدان والاقطار، ولعل أقدم خريطة من هذا النوع هي خريطة مدينة نفر(Nippur) وخريطة مدينة سبار وخريطة مدينة بابل، وتعدوا الخرائط ذات المساحات المحدودة إلى رسم خرائط لاقاليم اوسع والامثلة على ذلك خارطة للعالم المعروف لديهم جاءتنا من الزمن البابلي الاخير ولكن يرجح انها نسخة عن اصل اقدم وهي اشبه ما تكون بخرائط الجغرافي الاصطخري التي فاقت خرائط الاغريق القديمة من اليونانييونوالتي كانت تدعى في العصور الوسطى بخرائط الدنيا (Mappa Mundi) .[٨]وتصور هذه الخريطة البابلية الأرض وهي مدورة مسطحه وفي وسطها نهر الفرات آتياً من الجبال الشمالية ويصب في منطقة الاهوار في الجنوب شكل (١) و(٢) ووضعت مدينة بابل في المركز وفي جانب منها بلاد آشور، وقد علمت في هذه الخريطة مواضع المدن والبلدان بدوائر كما في خرائطنا في العصر الحاضر ووضعت في وسط الدوائر او بقربها اسماء تلك المدن اما شكل المثلثات في النطاق الخارجي من الخريطة فأنها تشير إلى الاقاليم الاجنبية وعددها (٦) او (٨) مثلثات.[٩] *ويحيط بالقارة التي تمثلها الخريطة النهر او البحر الملح (The salt sea)ويخرج منه ثماني جزر (Islands) وقد بينت المسافات فيما بينها بالساعات البابلية، وفي هذا العدد ان الخريطة تسمى الجزيرة الشمالية بالجزيرة لا ترى فيها الشمس (The sun is not seen) حيث يفسر بعض الباحثين هذه الاشارة بانهم عرفوا الظاهرة المسماة بالليل القطبي، لقد خلف لنا البابليون منذ اقدم ازمانهم طرق مسح الاراضي وقياسها واخذ مخططاتها، وعرفوا تخطيط الخرائط لمساحات اوسع اي خرائط البلدان والاقطار، كما عملوا خرائط لتخطيط مدينتهم ومعابدها وطرقها التي تربط بين هذه الظاهرات، فقد*

مثلوا ظاهرات سطح الأرض الطبوغرافية على الواح مستوية من الطين ومثلوا الجبال بأقواس متداخلة ورمزوا للمدن بدوائر حيث بدأت هنا مبادئ التمدن (Urbanization)في حوض نهري دجلة والفرات.(١٠)

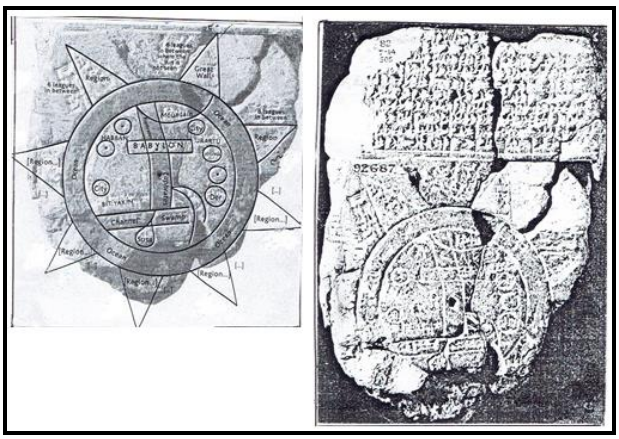

FIG : (1,2) The Babylonian Map of the World, or the Mappa Mundi Probably 6th century BC From Sippar, excavated by HormuzdRassam and acquired by the British Museum in 1882.

Clay : H12.2 cm , w8.2cm British Museum , BM 92687 , Horowitz 1998: 20-42.

٥- مدينة بابل الحضارية ودورها في سيرة تاريخها :

تقع مدينة بابل الاثرية اليوم على بعد ٩٠كم إلى الجنوب من بغداد اسمها في اللغة الاكدية باب ايلي باب الالهه، وكان الاغريق يسمونها (BaBywv) ثم تحولت باللغة البيزنطية إلىنافلون.(١١)ومدينة بابل من مدن العواصم وخير مثال للمدن المحصنة في العراق القديم التي ظلت عاصمة لجنوب ووسط العراق لفترات طويلة ترجع نشأتها إلى عام (٣٠٠٠ ق.م.) اذ اصبحت عاصمة للملك حمورابي وعاصمة لامبراطورية نبوخذ نصر عام (٦٠٠ ق.م.) إذ تشير المصادر إلى ان النبي نوح (ع) هو اول من عمرها ونزلها بعد الطوفان هو ومن خرج معه في السفينة فأقاموا فيها وتناسلوا وملكوا عليهم ملوكاً وابتنوا بها المدائن.(١٢)

إذ كان لموقع مدينة بابل الأثر الفعال في أهمية نموها وتخطيطها لأنها تقع في منطقة سهلة وسط السهل الرسوبي من العراق وعلى الضفة اليمنى لنهر الفرات الذي يخترقها من الشمال إلى الجنوب وكان اكثر استقامة في السابق منه الآن شكل (٣) و(٤) لأنه غير مجراه.

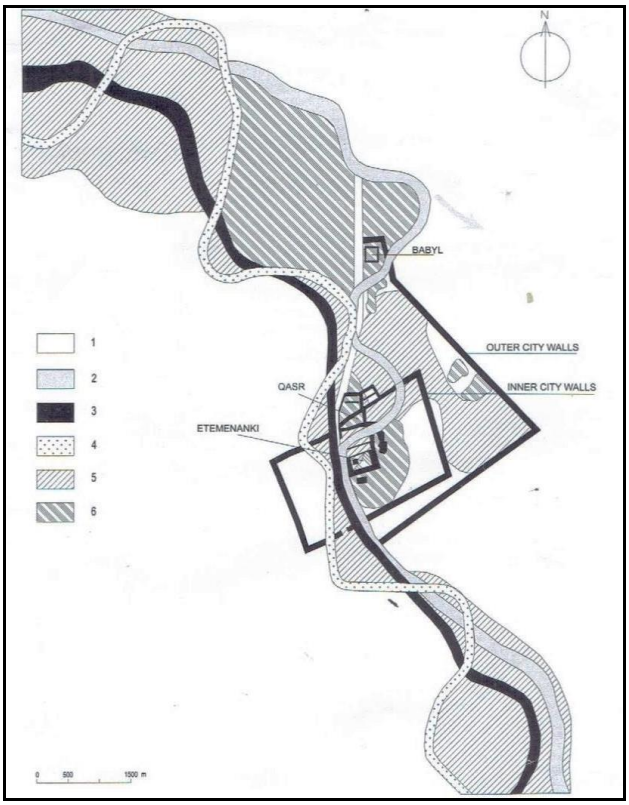

Fig :(3) 1. Euphrates digressions in the area of Babylon. I.riverbed in New Babylonian times, 2. In Achaemenid times, 3. Later riverbed, 4. Present riverbed, 5. Instable areas, 6 stable areas.

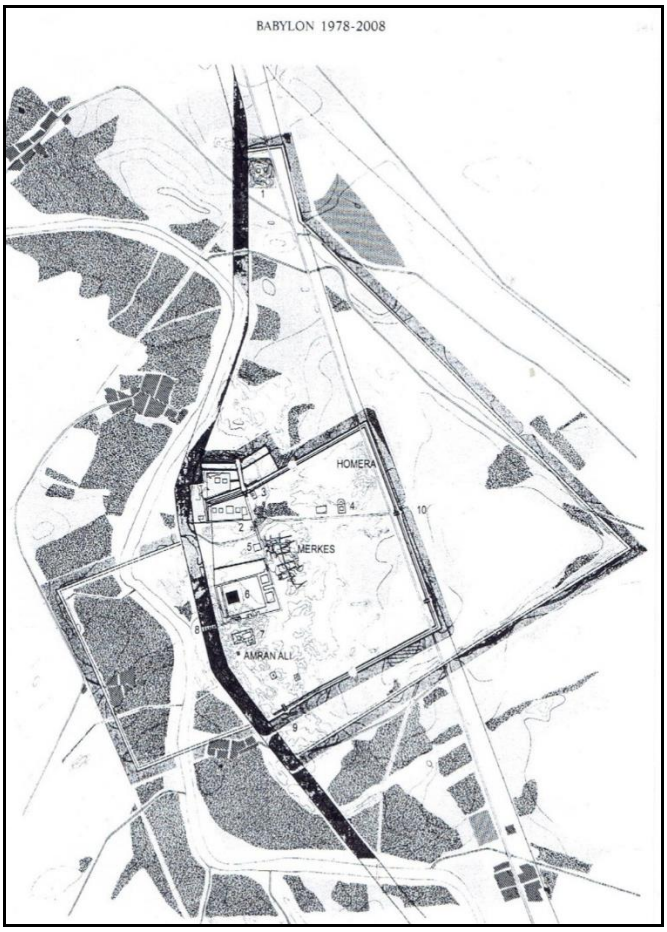

Fig: (4) Urban landscape reconstruction, project, (1978). 1. Babyl, 2.Southern Palace, 3. Nin-Mach temple, 4. Greek Theatre, 5. NabuShakhari temple, 6. Etemenanki complex, 7. Esagila temple, 8. Bridge, 9. Urash gate, 10. Marduk gate.

تقع المدينة في سهل متسع وهي مربعة الشكل يزيد طولها عن الميل الواحد وفي زمن الملك نبوخذ نصر ضمت المدينة منطقة واسعة على جانب نهر الفرات الغربي فصار الشكل المربع بذلك مستطيلاً او قريب إلى متوازي المستطيلات، بلغت مساحتها (١٠ملايين م٢) (١٠كم٢) يقرب محيطها (١٨كم)، وهناك من الباحثين من يقول ان طول كل ضلع سواء في الطول او في العرض (١٥ميلاً) وان محيطها يبلغ (٦٠ميلاً) فاذا كان هذه حجمها فانه ما من مدينة اخرى تدانيها.[١٣]

يحيط بالمدينة سورين سور خارجي (نمتي_أنليل) ومحيطه (١٨- ٢٠كم) يحيط بالقصر الصيفي من الشمال وسور داخلي (امكور_ أنليل) فهو مكون من سورين السور الاول من داخل المدينة عرضه (٦,٢٢م) والسور الثاني صغير عرضه (٣,٧٢م) وخلفهما خندق ماء يتراوح عرضه ما بين (٢٠-

٦٠م).[١٤] وكلا السورين قد بنيا باللبن وتمت تقوية وجه الخندق الداخلي بسور من الطابوق المشيد بالقار تبلغ المسافة بين السورين (٢كم) مع وجود مجرى مفتوح للقوارب والسفن من كل الانواع حول الخندق التي تؤدي اليها الطرق، وهنا لا يمكننا ان نغفل ذكر الافادة من الطين المحفور من الخندق العظيم ولا الطريقة التي تم بها بناء السور فانه يمثل السرعة التي كان يحفر بها الخندق وكان الطوب (الطين) الذي يستخرج من الحفر. وكانت الاسوار مرتبطة وسطوحها عريضة تسمح بمرور عربتين يسيران بسرعة في اتجاهين معاكسين يوجد في محيط السور مائة باب من النحاس عرفت منها ثمانية من خلال الحفريات شكل (٥) كما ذكرت النصوص المسمارية اسماء (٥٤) شارعاً مع شارعين لمسيرة الجند وثلاثة جسور للعبور إلى ضفة النهر الغربية، ان اختيار موقع مدينة بابل على نهر الفرات كان له اثر مناخي واثر في توزيع استعمالات الأرضLand use الذي اعطى للمدينة طاقة كبيرة في قبول السكان واعالتهم جزء من بيئة العراق الطبيعية حتى اضحت مدينة بابل حديقة بلاد آسيا القديمة وجنة العراقيين القدماء.

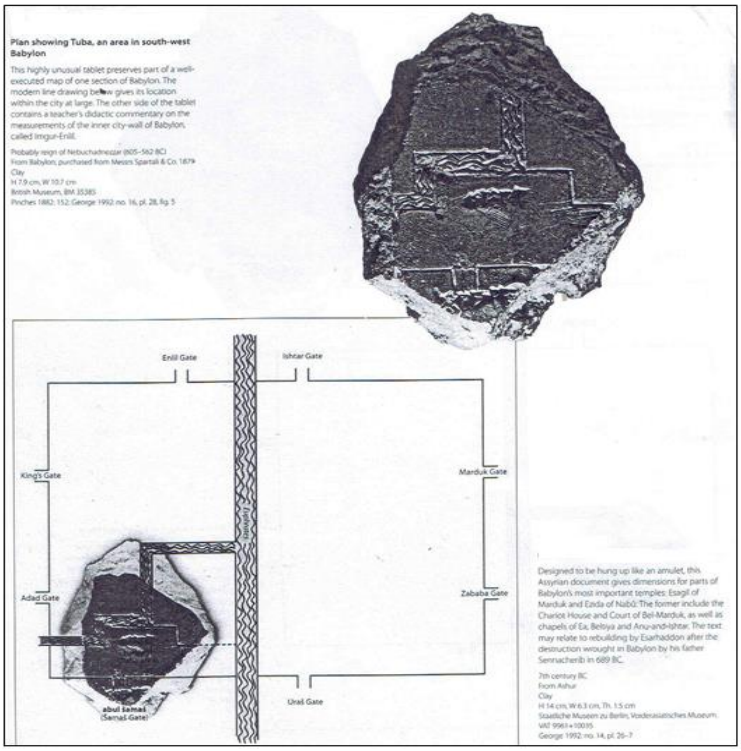

Fig: (5) Measurements of Esagil and Ezida

إذ وصل عدد سكانها ما بين (٢٠٠- ٢٥٠ الف نسمة) وعلى هذا النحو فان بابل في عهد نبوخذنصر (٦٠٥- ٥٣٩ ق.م.) جدول (٣) كانت اكبر مدن العالم.[١٥] بل انها في الواقع دولة مدنية (City state) وكان فيها مخزن للحبوب الزراعية ما يكفي لاعالة مليون نسمة.[١٦] واعتاد مواطنو بابل تسمية انفسهم بـــ ابناء بابل (مارابابيلي) او بـــــ ابناء البابليين (مار_ بابيلايا) او ببساطة

بابليين (بابيلايا) ثم تعممت هذه التسمية لتشمل بعد عام (٦٤٨ق.م.) جميع السكان المدنيين الاحرار لبلاد اكد الداخلة في عداد دولة مدنية بابل مما ساعد على زعامة بلاد بابل شعور وطني يوضح الرغبة في جعل عناصر حضارتهم متميزة قدر الامكان عن اسلافهم الاشوريين ويظهر هذا جلياً في فن العمارة والكتابات التاريخية وفي نشاط التجارة الداخلية والخارجية وفي العلاقات الخارجية مع الدول المجاورة والبعيدة .

جدول (٣) اسماء ملوك بابل وفترة حكمهم Babylonian Kings and their Names

اسم الملك المعروف اليوم	الفترة الزمنية (العهد)	اسم الملك البابلي الحقيقي	اسم الملك المرادف باليونانية
نبوبلاصر	٦٢٦- ٦٠٥ ق. م.	نبو_ بلا_ صر	Nabopalasaros
نبوخذ نصر الثاني	٦٠٥- ٥٦٢ ق. م.	نبو_ كادور_اوصر	Nabuchadonosoros
اميل مردوخ	٥٦٢- ٥٦٠ ق. م.	اميل_ مردوخ(مردك)	Evilmaraduchos
نيرجلاسر	٥٦٠- ٥٥٦ ق. م.	ناركال شار اوصر	Neriglisaro
لاباشي مردوك	٥٥٦ ق. م.	لباشي_ مردوك	Laborosoardochos
نابونائيد	٥٥٦- ٥٣٩ ق. م.	نابو _ نئيد	Nabonnedo

المصدر : The city of Babylon, p. 108

٦- فلسفة التخطيط في مدينة بابل

تخطيط المدن هو وضع شكل وتنسيق النظام البدني الطبيعي للمدينة وانشأتها بمجتمعاتها ومرافقها المختلفة في انسجام وتوافق مع الحاجات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، وتخطيط المدن في الواقع علم قديم اتجه اليه المهندسون القدماء يوم دعت الحاجة إلى انشاء المدن وحواضرها، اذ بدأ التفكير في انشاء المدن اليوم يوم تعلم الإنسان كيف يعيش في جماعات تتعاون على تنظيم حياتها طبقاً لمثيلاتها واغراضها المختلفة من دفاعية وحربية إلى دينية وسياسية وتجارية وصحية وعلمية وصناعية، فالمدينة عاصرت المجتمع خلال جميع مراحل تطوره التاريخية ومدينة بابل هي التي كتبت تاريخ بابل لأنها صورت ميول المجتمع كيف عاش؟ وكيف احس؟ وكيف فكر وقدر ونفذ؟ لقد عبرت المدنية عن سياسة المجتمع واتجاهاته العديدة وكان لكل عصر من العصور اسلوبه في البناء والاعمار واسلوبه في التخطيط اي لكل عصر فلسفة تخطيطية، لقد عاصرت المدن كل المدنيات وكل

الناس ولكن ذهب الناس وبقيت المدن لتروي تاريخهم اذ تأثر تخطيط المدن في وادي الرافدين كما تأثر تخطيط المدن المصرية من الطابع لأبنيتهم السكنية التي لم يبقى منها سوى آثار ضئيلة اذا ما قورنت بآثار المعابد الكبيرة والزقورات الخالدة والحضارة لأي اقليم كانت قائمة على اساس الانهار العظيمة التي ساعدت على ازدهار البلاد حول مجاريها. كانت في الواقع التخطيطات القديمة تتناسب وعقلية اولئك القوم الذين عاشوا فيها راضين لأنها كانت تتناسب مع طريقة حياتهم ونظرتهم للجمال وكان احساس المهندس البابلي بالكتلة واللون والمباني مع ما حولها من المناظر الطبيعية التي كانت تتفق وظروف البيئة المحيطة في كثير من اعمالهم القديمة على سبيل المثال بوابة عشتار المزججة والقصور البابلية التي نرى فيها تناسق بين كتل المباني وهكذا نرى في العمارة الحديثة انه يجب تطبيق بعض النظريات البسيطة التي تجعل البناء يتناسب مع الموقع وكتل المباني لربطها بانسجام مع السيطرة على تكوين المجموعة المتكاملة، كما ابدع المهندس البابلي في تخطيط المناطق الخضراء الممتدة والاشجار المنتشرة التي كانت مركزاً للجمال المرئي ومتنفساً للمدينة وكان مركز المدينة وقلعتها كانت تعبر عن سلطة وثروة المجتمع الحضري البابلي وحكامه فضلاً على ما تضفيه من قيمة قدسية على المجتمع.[١٧] لقد عبر الفن عن وجود حياة الإنسان واشكال المدن بتلك النقوش التي حفرت على الجدران مما كان يحقق رغبات الإنسان في الخلود عن طريق بقائه ماثلاً في اذهان الاجيال التالية اي ان المعبد والنصب وقصر الحاكم انشأت بمقياس واسع تعبيراً عن القدرة والقوة، ومدينة بابل تمتاز بحسن التخطيط وهو خير ما توصل اليه القدماء من فنون التخطيط العمراني.[١٨] وبابل هي عاصمة الجمال التي اختارها الاسكندر الكبير لعظمة ابنيتها وفن تخطيطها واسوارها والتي عدت من عجائب الدنيا السبع Seven wonders .

٧- تخطيط استعمالات الأرض في المدن العراقية القديمة:

المدينة هي الناس الذين يسكنونها وثقافتهم وحضارتهم التي يعيشون فيها هي الاساس السليم لتوجيه التخطيط المناسب الذي يتفق مع احتياجات الناس كل الناس .

ان تخطيط مدينة بابل تخطى الابعاد الثلاثة عندما كانت تلك الابعاد الثلاث هي اسس التكوين الانشائي تخطى التخطيط ابعاد الطول والعرض والارتفاع إلى الحركة والصوت بل حتى ضوء الشمس وحركتها حول الابنية والقصور والمعابد، اي ان التجمع البشري انتقل من حالة التبعثر والتشتت إلى حالة التجمع والتكدس في منطقة معينة وربما على مستوى العقل اللاواعي من حالة خوف غير منظم إلى حالة خوف منظم إلى جانب ان كثيراً من الوظائف التي كانت مبعثرة وغير منظمة لابد لها ان تجمع معاً ضمن ذلك النطاق ان مواجهة التحديات البيئية والعمل على التخطيط لمواجهتها يتطلب فيما يتطلبه من فكر تخطيطي سليم الذي يتحول إلى قيمة فكرية وإلى قوة سياسية تفرض الطاعة على

افراد المجتمع وهذا يتطلب قيادة حاسمةلإدارة شؤون المجتمع وتنظيمه والقيام بإجراءات سريعة تتطلبها احتمالات قيام ازمات عديدة، لقد لعب الدين دوراً مهماً في نشوء اول تجمع حضري، حيث كان الفوز برضى الإلهة غاية يسعى اليها الإنسان وذلك قبل ان يحتمي من اعدائه في حصن او لعة وقبل ان تكون الحرب نظاماً مألوفاً في المجتمع البشري لتعبر عنها القلعة، وكان مركز المدينة وقلعتها تعبير عن سلطة وثروة المجتمع الحضري وحكامه فضلاً عن ما تضفيه من قيمة قدسية على المجتمع، فقد لعب المعبد والنصب وقصر الحاكم دوراً كبيراً في تطور نشوء المدن في تاريخ وادي الرافدين اذ انشأ بمقياس واسع تعبيراً عن القدرة والقوة.[١٩] لعلنا نستطيع تحديد معالم الصورة الحضرية للمدينة من خلال تشخيص ثلاثة انطقه اساسية هي:[٢٠]

١ – النواة الحضرية او القلعة وما تضمه من معبد وقصر الملك ومخزن للغلال .

٢ – النسيج الحضري للمدينة يضم الاحياء السكنية والمرافق العامة.

٣ – النطاق الخارجي يضم السور والخنادق المحيطة بالمدينة.

فقد دلت الحفريات الاثرية على التفاصيل العامة للتركيب الداخلي للمدن كما بينها روبرت ادمس (Robert Adams) حيث تحتل المباني العامة المعبد والقصر قلب المدينة هذه المنشآت تعتبر المراكز التي تتوجه اليها انظار السكان فمنها تتفرع الطرق الرئيسة وتمتد دور الطبقة الغنية على امتداد هذه الطرق اما مساكن الطبقة الفقيرة تتصف بأزقتها الملتوية والضيقة وهذه البيوت ذات مساحات صغيرة، اما المناطق التجارية فأنها تتركز على جهات النهر وعلى ابواب المدينة ولا شك ان انشاء المستوطنات بهذا الاتساع وهذا المحتوى إلى جانب طبيعة مواد البناء المستعملة في التشييد فضلاً عن استخدام الجموع البشرية كقوة عاملة كلها مؤشرات توضح التنظيم الاجتماعي وتعكس الفارق الطبقي في هذه المجتمعات فعامة الناس تتكدس في المباني الجماعية عند حدود المدينة واطرافها بينما تتركز في الوسط الشرائح الاخرى في المجتمع وتهيمن على مركز المدينة طبقة الحكام والقادة والحكومة حيث قصورهم فضلاً عن المعابد شكل (٦).

شكل (٦) رسم يمثل مخطط لمدينة مبكرة

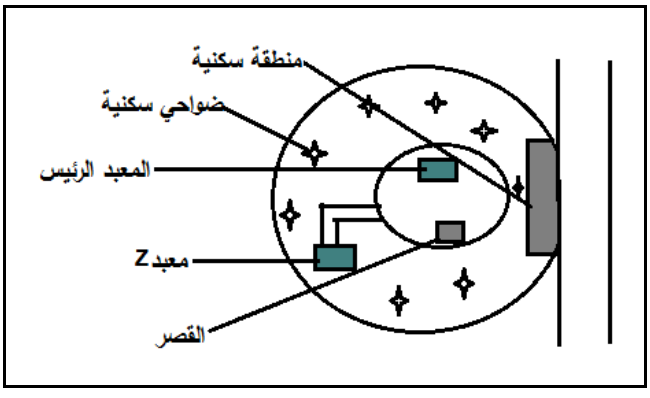

المصدر : Blacke and lawless p.14

ان مناطق الحضارة والثقافة في بابل برهنت على المستوى الذي توصل اليه البابليون من فن تخطيط المدن ومدينة بابل اضافة إلى كونها ذات وظيفة سياسية وعسكرية فأنها تعتبر في الوقت نفسه مراكز دينية واقتصادية وعلمية في وقت السلم زيادة على كونها ملتقى التجارة ولهذا كان عليها ان تقدم نشاطات تجارية التي وصلت إلى آسيا الصغرى وإلى دلمون وإلى مصر والبحر المتوسط .

١- تخطيط المناطق السكنية

نظراً لضرورة اقامة مناطق للسكن كان لابد ان تحدد الصفات الاساسية لكل المناطق السكنية في المدينة كان تخطيط السكن في مدينة بابل له شهرته وعظمة وجمال ابنيته ومما اكسبها موقعها على الضفة اليمنى لنهر الفرات ان وزعت المساكن الشعبية فيه في حين كان المركز المدني الرئيسي للمدينة يقع على الضفة اليسرى اذ يوجد قصر الملك والابنية العامة وكذلك وجود صرح الزقورة وبرج بابل وادارة الخدمات ودور كبار الموظفين في الجهة اليسرى من النهر، لقد خططت الدور والقصور في مدينة بابل حتى صارت اوسع واجمل واكثر رضاء من اية مدينة اخرى فعلى الجانب الغربي من شارع الموكب كان تخطيط القصر الجنوبي غاية في فن البناء وفي تخطيط وتصميم ساحاته والكتل البنائية يعود القصر للملك نبوخذ نصر (٦٠٤- ٥٩٢ ق.م.) اذ يعد هذا القصر من اكبر النماذج المعروفة آنذاكيسمى (بالقصر الحصن) يتوسط هذا القصر مركز المدينة فوق مصطبة قليلة الارتفاع في موقع محمي إذ تبرز احدى المعالم الدفاعية الهامة للقصر وذلك بإحاطة قسمه الشمالي والجنوبي بأسوار دفاعية خارجية وما يحيط بها من مجاري مائية واسعة في جهات القصر الثلاث جعلت من القصر شبه جزيرة مستحكمة قائمة بذاتها بمعزل عن احياء المدنية وقطاعاتها المختلفة وهذه اهم معالم هذا القصر الذي اعد من عجائب الدنيا بنيت جدران القصر من الاجر بقياس (٣٢× ١٠سم) مع وجود عزل الجدران عن المياه الجوفية الواقعة اسفلها وذلك ببناء جدران فوق الأرض تمت معالجتها بالأسفلت يعزلها عن المياه الجوفية، اذ دفنت هذه الجدران بارتفاع (٦- ٧م) لتصبح بمثابة اساس اقيمت فوقها جدران المبنى الرئيسي والتي ترتفع ما بين (١٢- ١٥م)، تقدر مساحة القصر (٦٢٠٠٠م٢) بأبعاد (٣١٠ × ٢٠٠م) في القصر (٢٠٠) غرفة وقاعة كبيرة ابعادها (٦٠× ٥٥م) هي قاعة العرش الكبرى شكل (٧ و٨). كما يوجد القصر الصيفي الواقع في الجزء الشمالي من المدينة في الموقع المسمى (تل بابل) الذي يتميز بارتفاعه عما يجاوره ، هذا القصر مربع الشكل ابعاده (٢٥٠× ٢٥٠م) ينتصب على قاعدة ارتفاعها (٢٠م) تطل على سهل فسيح يساعد على تلطيف نسيم الصيف الحار، كما ان قرب نهر الفرات منه جعل جوه ملائم لاتخاذه مقراً لإقامة الملك في فصل الصيف، ان تخطيط القصر العام يشبه تخطيط القصر الجنوبي لكنه اصغر حجماً واقل

عدداً في حالاته وملحقاته فيه قاعتين القاعة الشرقية والغربية وقاعات وغرف اخرى ملحقه به، جدران القصر مبنية من الطابوق والجص مضافاً اليه بعض الالوان، يربط القصر بالمعابد الرئيسية طريق يعرف باسم الطريق المقدس، كما توجد في القصر قاعة كبيرة تزيد مساحتها على (١٠٠م٢) تقع إلى الجنوب منه وكانت هذه القاعة مخصصة كمتحف للقصر ويعتقد ان اسد بابل الشهير الذي تم العثور عليه في هذه المنطقة كان واحداً من الغنائم المحفوظة في هذا المتحف.

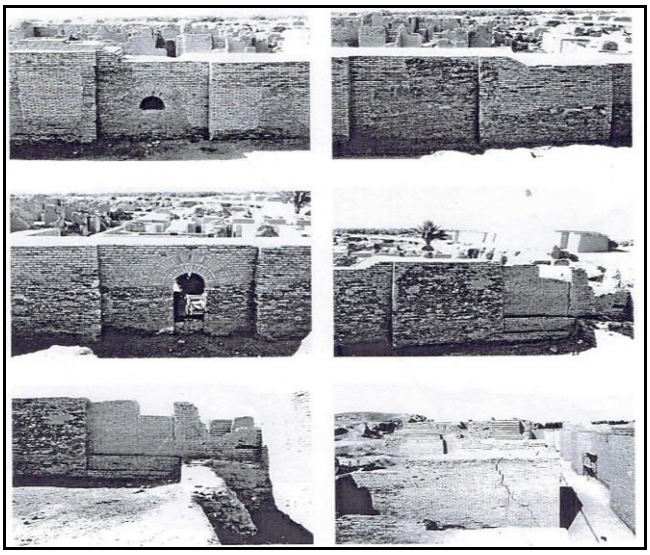

Figs:(7) Sequence of views (follows Figs: (8) from south of the South Palace during reconstruction works (1986) ; (50-51) the link of the east front of the South Palace and the Ishtar Gate).

اما بيت الاقبية او ما يعرف سابقاً بالجنائن المعلقة يقع هذا البناء في الزاوية الشمالية الشرقية من القصر الجنوبي في الجانب الايسر من شارع المواكب وعلى مقربة من بوابة عشتار ومن الجهة الشمالية تكون نهايته تنتهي بسور المدينة الداخلي، اما الجهة الغربية والجنوبية للبناية تنفصل عن بقية مرافق القصر بممرين طويلين ترتبط بالقصر بواسطة ثلاثة مداخل في الجهة الجنوبية منه، البناية غريبة ذات تخطيط وتصميم معماري متميز على هيئة مستطيل غير منتظم ابعاده (٤٢× ٣٠م) تتألف البناية من (١٤) غرفة مستطيلة الشكل تتقابل كل (٧) غرف منها على طرفي ممر مثيلاتها مكونة بناية مستقلة عن الموقع تبلغ مساحة نواة البناية (٢٨× ٢٨م) بينما تبلغ المساحة الكلية للمبنى (٤١× ٤٠م) اي (١٦٤٠م^{٢}) كما يوجد بئر فيه ثلاث حفر الواحدة بجنب الاخرى، فسرت هذا الحفر بان الماء كان يرفع منها بواسطة دولاب إلى الجنائن المعلقة التي اشتهرت بها مدينة بابل اوعدت احدى العجائب السبع في العالم وكان سقف الحجرات الصغيرة مكوناً من عقادات عليها طبقة سميكة من التراب غرست فيها الاشجار والاوراد، يعتقد المؤرخون ان تشييد هذه

الجنائن كان من اجل زوجة الملك نبوخذنصر (أمانس بنت استياكسي) الماذي التي اعتادت العيش فوق الجبال الخضراء.(٢١)

ان تخطيط وتصميم المبنى ووقوعه على نهر الفرات وقربه من جناح سكن الملكة فضلاً عن ان طرازه المعماري لا يمثل ان يكون له وظيفة دينية او سكنية او ادارية وانما جانب ترفيهي، اما البيوت البابلية كانت تبنى من الطين ومن الآجر وكانت للأغنياء وقلما كانت لها نوافذ ولم تكن ابوابها تفتح على الشوارع الضيقة بل كانت تقع على فناء داخلي مظلل من الشمس هذا الجانب له اهمية من الناحية الشرقية privancy , honorary اذ ان العراقيين والعرب بصورة عامة ياخذون بنظر الاعتبار الناحية الشرفيه في تخطيط المباني وفي تخطيط المدن.(٢٢) كانت مدينة بابل مقسمة إلى عدة احياء على سبيل المثال حياريدو الذي يقع فيه معبد مردوخ ثم حي كادينكيرا قرب بوابة عشتار حيث معبد (الاي ماش دار) الخاص بعشتار اكد الذي يقع ضمن بيوت سكنية وشوارع ضيقة تؤدي غرباً إلى شارع الموكب.

اما المدينة الجديدة (الوايشو) فكانت بين الزقورة والقصر الجنوبي، وتقع في حي المدينة الجديدة معابد عشتار (كاكابي) ومنصة عرش نبو ومعبد كيتوشكيرزالا، اما حي توبا فيقع بين شمش (توبا) والارختوا داخل سور المدينة وفيه معابد (نين سينا)(نين كاراك) (وشيدادا)، وكان حي كلاّب محصوراً بين احياء اريدو غرباً وكادينكيرا شمالاً (وتي اي كي) شرقاً ثم حي نوخاراودكي وعلى مقربه منه حي كوماري بين منطقة باب لوكال كيرا من الشمال وحي توبا من الجنوب .(٢٣) كما توجد اماكن خاصة للكهنة ومئات الغرف لضيافة الغرباء، وتوجد البيوت في الاحياء السكنية مبنية تحت الأرض لاتقاء الحرارة صيفاً وهي تقابل ما يسمى السرداب هذا الاسلوب في البناء هو معالجة تخطيطية في العمران للسيطرة على الظروف المناخية والتغلب على ظروف البيئة القاسية بعض بيوت الطبقات الراقية مكونة من ثلاث طوابق او اربعة اما الضواحي suburbanفانها تقع في اطراف المدينة تنتشر فيها البيوت الريفية النمط وكانت عبارة عن اكواخ من القصب والطين، كان للانسان البابلي في بناء البيت هدفان الاول هو الحصول على السرية والخصوصية لاسيما ما يتعلق ببناءه والثاني جعل البيت مأوى له وحماية له من الشمس المحرقة. من الواضح ان البابليين احبوا السرية الشخصية فكانت ابواب الغرف المطلة على الباب الخارجي مرتبة جداً بحيث لا يمكن للشخص المار بالشارع ان ينظر من خلال الباب الخارجي المقفل دائماً إلى الساحة الوسطية للبيت وكان الإنسان البابلي يعتبر بيته قلعته. وكان في البيت المطبخ فيه العديد من الجرار الفخارية المخصصة لشرب الماء او لخزن المواد الغذائية الحنطة والشعير وغيرها.(٢٤)

٢- تخطيط الشوارع والطرق في مدينة بابل:

كان لقيام المنشآت الاقتصادية والحكومية والقصور الضخمة والدور السكنية في مدينة بابل سبباً في ايجاد الحاجة إلى الشوارع والطرق التي تخدم سكان المدينة، اذ يتميز تخطيط مدينة بابل بشوارع متعامدة واسعة تنتهي ببوابات المدينة الرئيسة عرف منها اسماء ثمانية شوارع كبرى ولها ثماني بوابات كبيرة سميت كل بوابة وكل شارع باسم الاله الذي يقع معبده بالقرب منها، وقد ذكرت النصوص المسمارية اسماء شوارع اخرى بلغ عددها (٢٤) شارعاً مع شارعين خاصين لمسيرة الجند تسمى جرّي مع وجود ثلاث جسور على نهر الفرات يعبر منها إلى الجزء الثاني من المدينة في الضفة الغربية من النهروالتي تسمى (الو اششو).[٢٥]

ومن اشهر بوابات بابل (باب عشتار) شكل (٩) التي تمر منها المواكب وهي مدخل المدينة الشمالي الغربي والتي تمثل أحد النقاط الرئيسة التي تمر من خلالها المواكب إلى أهم شوارع المدينة الا وهو شارع الموكب، وبوابة عشتار ذات مدخلين أي ان بنائها يتكون من بوابتين الواحدة خلف الاخرى يوصل بينهما جدار قصير يجعل منهما كتلة معمارية واحدة وكان البناء كله مزيناً بتاج من المسننات يمتد فوق قمة البوابة والاسوار التي تشكل امتداد لها، شيدت البوابة بالأجر وغلفت جدرانها بالأجر المزجج الذي زين بحيوانات اسطورية تسمى (المشخشو) وهي حيوانات اعضاء جسمها مختلفة اي كل عضو يعود لحيوان مختلف عن الاخر اي الرأس للتنين والاطراف الامامية للأسد والاطراف الخلفية للذئب والثيران شكل (١٠) رمز الاله (ادو) والتنين رمز الاله (مردوخ) وخلفية البوابة ذات اللون الازرق الفيروزي لم يكن اعتباطاً او لمجرد رغبة من الفنان البابلي، بل ان اللون الازرق لدى البابليين له معنى سحري لطرد الارواح الشريرة من المدينة، اذ ذكرت بوابة عشتار في النصوص المسمارية الخاصة بتخطيط المدينة باسم عشتار قاهر اعدائها.

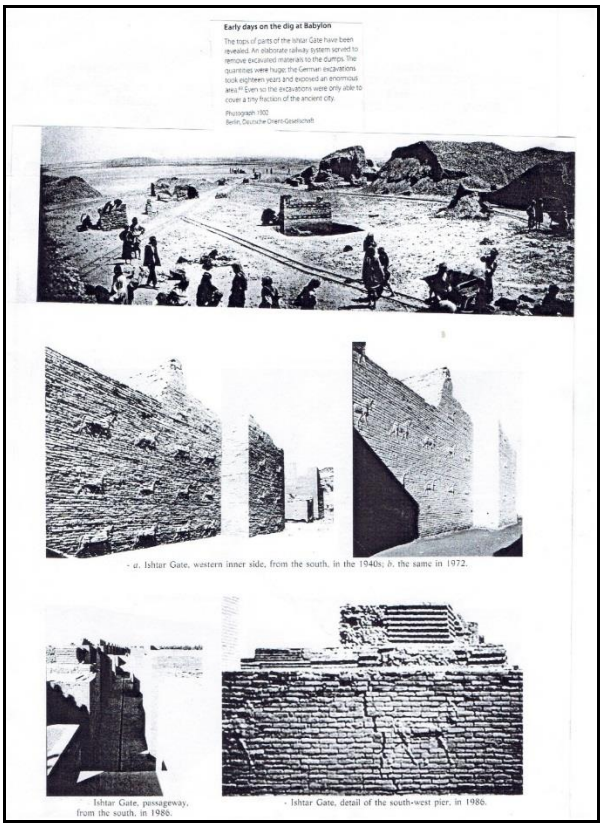

Fig: (9) Early days on the dig at Babylon

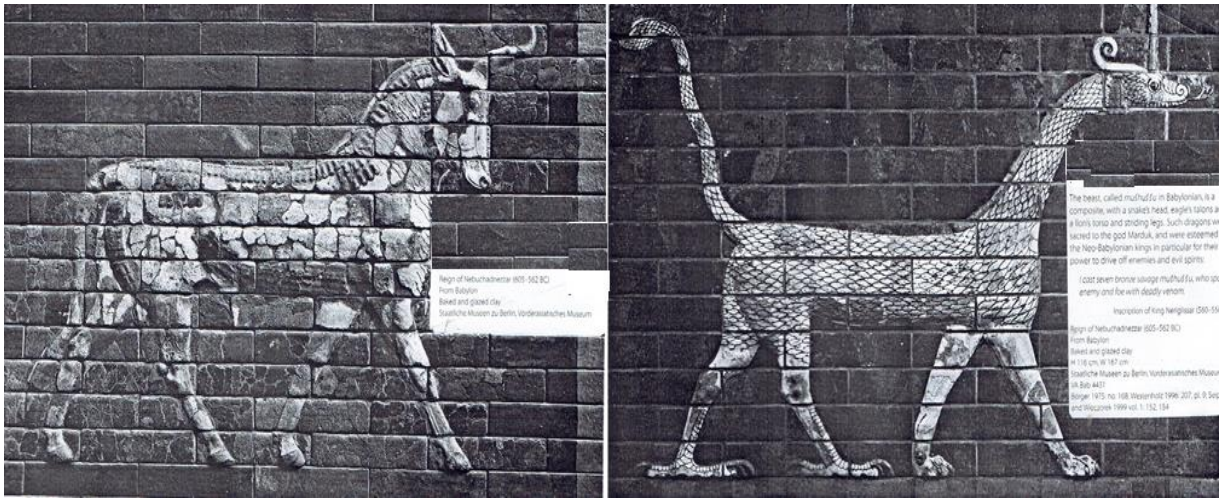

Fig: (10) Glazed brick relief showing a mushussu dragon , and Glazed brick relief showing a bull from the Ishtar Gate.

ان بوابة عشتار تعتبر بحق تحفة فنية رائعة نستدل من خلالها على روعة الطراز المعماري والفني التي ابدعها الفنان المعمار البابلي في تلك الفترة، وان اشهر شوارع المدينة هو ما يعرف اليوم بشارع الموكب الذي تمر به مواكب الاحتفالات في اعياد رأس السنة البابلية (الايام الاثني عشر الاولى من شهر نيسان) وتبدأ بسيرها من معبد مردوخ الاله القومي لبابل منطلقاً من معبد ايساكيلا

او ايسانكيلا في جنوب المدينة مارا بقصر الملك الجنوبي خلال بوابة عشتار متجهاً إلى بيت الاحتفالات اي (بيت اكيتو). وكان عرض الشارع في الجهة الشمالية من باب عشتار (٦٣ قدماً) (٢١م) والشارع مبلط بالشادو وهي الواح من الحجر بعضها من حجر الكلس والبعض الاخر مبلط بأحجار بريشا بها عروق حمراء وبيضاء، يزين الشارع من الجانبين جداران ضخمان يزين كل منهما (٦٠) اسداً على كل جدار وهي ذات الوان حمراء او صفراء على ارضية من الاجر المزجج الازرق كما شيد على نهر الفرات جسراً حجرياً له دعامات من الحجر صفت عليه الواح من الخشب للجسر سبع دعامات عرض كل دعامة (٢١م) وسمكها (٩م) تبلغ المسافة بين كل دعامة واخرى (٩م) اما طول الجسر يبلغ (١٢٣م). بلغ طول شارع الموكب (٧١٠م) وعرضه ما بين (١٠- ٢٠م) ارتفاعه ما بين (٩,٥- ١٢م) فوق مستوى السهل.[٢٦]

لقد ادرك المخططون والمهندسون البابليون أهمية هذا الشارع بطوله وعرضه وارتفاعه واتخذوا الاجراءات الهندسية والفنية لاتساع قابلية الشارع لحركة المواكب التي كانت تجري فيه لم يسمح لوسائط النقل الاعتيادية (العربات) ان تمر عليه اذ ان الممر فيه مخصص للمشاة وهناك شوارع خاصة بحركة المشاة وهي تختلف عن شوارع العربات من حيث سعتها وترتيبها وطولها ووضعها ، وان معظم شوارع المدينة متعرجه وضيقة وسطحها وعر.[٢٧] هذا جانب تخطيطي فاذا تعرضت المدينة إلى غزو اجنبي عليها امكن السيطرة عليه في تلك الشوارع لأنها تعمل على عرقلة حركة الاعداد او الفارين لكي لا تسقط المدينة بسهولة في ايدي الغزاة اما وسائط النقل المستخدمة في المدينة هي :

١ – العربات التي تجرها الحيوانات .

٢– السفن الشراعية .

٣ – الحيوانات المختلفة .

والعربة من وسائط النقل القديمة عند البابليين وكان لموقع المدينة عند نهر الفرات شجع على النقل النهري إذ كانت السفن الشراعية وسائل للشحن والنقل والسفر في نهري دجلة والفرات وفي الخليج العربي كما توجد الطرق البرية بين بابل وشمال الصحراء السورية عبر آسيا الصغرى إلى ساحل بحر ايجه حتى صارت بطرقها حلقة وصل بين الشرق واليونان، كما استخدم السكان القوارب والقفه (الكفه) في التنقل بين ضفتي النهر.

٣ – تخطيط المعابد وهندستها المعمارية:

قامت الديانة البابلية على المبدأ القائل بوجود قوى خفية وحيّه في مختلف الظواهر الطبيعية والكونية مثل الشمس والقمر والكواكب والمطر والرعد والسماء والأرض... الخ وبمرور الوقت جسدت هذه القوى وغدت الهه تعبد وكان العبد الذي احتل مكاناً بارزاً وسط المدينة المكان الذي تتم فيه الطقوس والاحتفالات الدينية بمعاونة الكهنة.(٢٨)

يتكون العبد من جزئين رئيسين الاول هو المعبد العلوي اي الزقورةوالمعبد الذي كان يشيد فوقها وثانيهما هو المعبد الأرضي. اذ غدت الزقورة من السمات المعمارية البارزة في العراق القديم. فقد ذكرت النصوص المسمارية لمدينة بابل وجود (١١٧٩) معبداً منها بمقياس كبير ومنها بمقياس صغير بلغ عدد المعابد الكبيرة (١٥٣) معبداً فضلاً عن المزارات الصغيرة واماكن للقرابين واستطاع المنقبون من الكشف عن (٥) معابد كبيرة هي:(٢٩)

١ – المعبد الرئيس الضخم لعبادة الاله (مردوخ) واسمه ايساكيلاe-sag-ila الكبير وبرجه العالي (اي- ثمين- انكي) بمعنى بيت اسس السماء والأرضشكل (١١) .

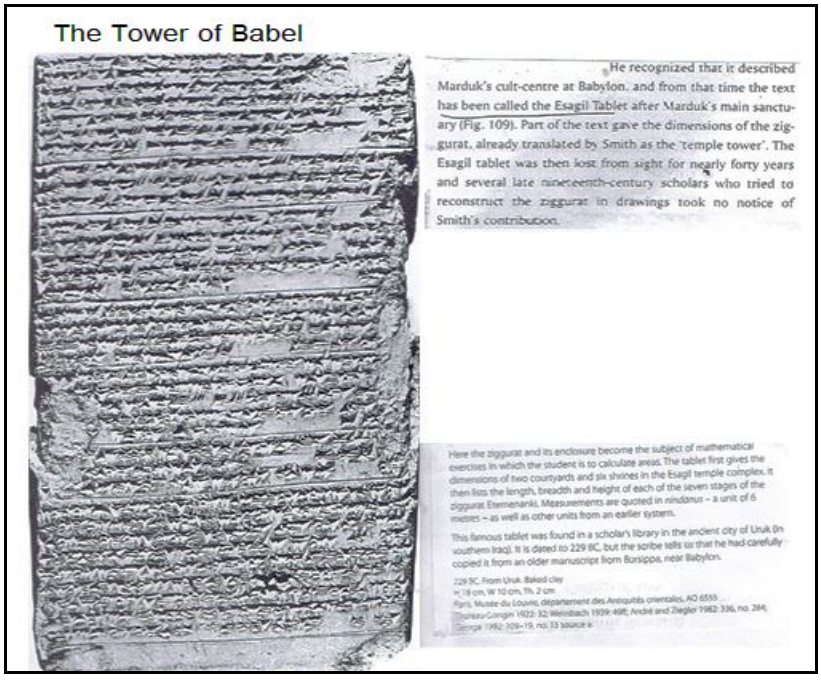

Fig : (11) Measuring a ziggurat : the Esagil Tablet

٢ –معبد الاله ننماخ المسمة بمعبد (اي_ ماخ) e- mahk ويقع بجانب باب عشتار في الجهة الجنوبية الشرقية منها.

٣ – معبد الاله (الا لاهه) عشتار وموضعه في الحي المسمى بحي المركز.

٤ – معبد الاله (الا لاهه) ننورتا يقع في الجزء الشمالي من المدينة في حي الكلاّب .

٥ – معبد الاله (الا لاهه) كولا وتقع ايضاً في الجزء الشمالي في المدينة في حي الكلاّب.

اما احدث المعابد المكتشفه في مدينة بابل هو معبد (نبوشخاري) الذي يقع قباله معبد عشتار .

اما ابرز واشهر معابد مدينة بابل هي :

١ – معبد الاله عشتار: وهي الالهه التي شملت عبادتها جميع حواضر العراق القديم وفي كونها الالهة الحب والحرب وهي استمرار للديانة العراقية القديمة، اذ يعتبر تخطيط معبد عشتار امتداد تقليدي لطراز بناء المعابد في العراق القديم من حيث التخطيط والتصميم المعماري وبناء المعبد بشكل مستطيل ابعاده (٣٧,١٢× ٣١,٥م) محاط بجدران ضخمة من الخارج مبني من الطين واللبن المقدسين ابعادها (٣٦× ٧م) يحتوي المعبد على مساحة وسطية و(٢٢) غرفة .

٢ –زقورة بابل (اي_ ثمين _ نانكي E-Temen-Na-Ki) الزقورة بناء مشيد من الداخل باللبن ومن الخارج من الآجر قاعدة البرج مربعة الشكل طول ضلعها (٩١,٥٥م) والقاعدة في الابراج المربعة يكون ارتفاعها بقدر طول ضلع قاعدتها. يتألف البرج من (٣- ٧) طبقات في قمتها يتواجد معبد صغير يسمى شاخورو sahurn كان للهندسة المعمارية لزقورة بابل اثر في العمارة المصرية من حيث التخطيط والتصميم اذ نجد تأثيرها واضحاً في بناء الاهرامات. ففكرة العلو والسمو والاتصال بالالهه السماء عن طريق بناء مرتفع فكرة هندسية من حضارة العراق القديم والهرم يشترك مع الزقورة بقاعدة مربعة الشكل وزواياه القائمة وكل ضلع من اضلاع القاعدة باتجاه جهة من الجهات الاربعة الاصلية.

٣ – معبد (ايساكيلاE-sag-ila): أي البيت الشامخ او الرفيع يعتبر من اكبر معابد مدينة بابل واشهرها وهو مخصص لعبادة الاله مردوخ يقع المعبد في حي اريدو وهو مربع الشكل طول واجهته الشمالية (٧٩,٣م) وواجهته الغربية (٨٥,٨م) يبلغ سمك جدرانه الخارجية (٢,٥- ٣,٢م) مبني من اللبن قياس (٣٢×١٠سم) يقع المعبد في الجهة الجنوبية لمدينة بابل وضمن اكبر تلالها المسمى تل عمران بن علي تحت طبقة من التراب والانقاض.[٣١] من ادوار السكن المتأخرة .

٤ – معبد الاله (ننورتا): وهو اله الحرب والصيد وهو ابن الاله (انليل) اله الهواء، اما معبد الالهه كولا الزوجة الثانية للالهننورتا التي كانت تحيي الموتى في الاساطير العراقية القديمة وكلا المعبدين

يقعان في الجزء الشمالي من المدينة. فكل المباني البابلية لها سماتها واسلوبها لها جذورها في التاريخ المعماري القديم للبلاد والتي تستند إلى تخطيط وتصميم العمارة السومرية- الاكدية المتقدمة، اذ اعطى تخطيط المعابد صورة واضحة لفن هندسة التخطيط والتصميم عن مصدر السلطة الرئيسة التي كانت تدير شؤون البلاد.

٤- تخطيط الخدمات العامة

كان للدولة دوراً بارزاً ومتميزاً في تخطيط المدينة سواء في تخطيط السكن او تخطيط الشوارع والطرق او تخطيط الخدمات العامة وكان يراعي دائماً عند اختيار المواقع بالنسبة للخدمات العامة ان تكون الامكنة المخصصة لها متفقة في موقعها وفي حجمها مع ما تؤديه من خدمات إذ تشير المعلومات المتيسرة إلى وجود بعض الخدمات العامة في المدن وفرتها الحكومية، إذ يظهر ان أهم الخدمات التي كانت تقدمها ادارة المدينة هي الخاصة بالري وتجهيز المياه واقامة المشاريع العامة لدرء اخطار فيضان نهر الفرات وهكذا كان من أولى واجبات الحكام والملوك توفير المياه وانشاء مشاريع الري وادارتها واصبحت لذلك قوانين ملزمة صادرة عن الدولة للاستفادة من مياه الارواء والشرب وعدم الاضرار بها، كما جاء في نص المادة (٥٣) من قانون حمورابي الذي نص ((اذا تقاعس رجل في تقوية سد حقله ولم يقوَّ سدة وحدثت كسرة في سده فترك الماء يخرب الأرض المزروعة فعلى الشخص الذي حدثت الكسرة في سده ان يعوض الحبوب التي سبب تلفها)).(٣٠)

ومن الخدمات الأخرى التي وفرتها ادارات المدينة للسكان هي المحافظة على الامن والاستقرار وحماية السكان من أي اعتداء خارجي او فوضى داخلية وخصص لذلك قوة عسكرية خاصة تابعة لحاكم المدينة استعداداً إلى حفظ الامن الداخلي فكانت من واجبات قوات اخرى تابعة لحاكم المدينة وكان لها اماكن خاصة بها من الاعمال الوظيفية او التدريب. ان هذا النوع من الخدمات الاجتماعية يضع مجتمع المدينة في مصاف ارقى المجتمعات الحديثة، ومن الخدمات الاخرى ايضاً التي قدمتها المدن للمواطنين هي ضمان حسن تطبيق القوانين ومحاسبة المقصرين ومعاقبتهم وتعويض المتضررين يتم ذلك من خلال جهاز خاص بالحاكم. ومن الخدمات ايضاً الخدمات الطبية التي خصصت لها مواد من قانون حمورابي، وكان تعليم الطب يتم من خلال التدريب والممارسة مع الاطباء المتمرسين وكانت لهم مدارس خاصة بهم تابعة للمعبد، هناك اطباء يعملون في البلاط الملكي في حين عمل اخرون خارج القصر والمعبد، إذ تشير التنقيبات الاثرية ان سكان مدينة بابل عاشوا في ظل خدمات بلدية تضاهي احياناً الخدمات التي تقدمها بلديات المدن الشرقية في الوقت الحاضر. كما وفرت الحكومة تجهيز السكان بالمياه العذبة للشرب بواسطة القنوات والجداول. ان ما قامت به ادارات المدينة تقديم الخدمات البلدية والطبية كان بما يتناسب والفترة الزمنية التي عاشتها. ومع ذلك

فقد كانت معظم الخدمات تتركز في المدن الرئيسية ولاسيما العواصم، في حين افتقرت المدن الصغيرة والقرى إلى الكثير من الخدمات، وهي ظاهرة كانت ولا تزال قائمة في معظم بلدان العالم قديماً وحديثاً.

٥- تخطيط الخدمات التعليمية:

كان ابتداع أول وسيلة للتدوين عرفها الإنسان في القسم الجنوبي من العراق، وكانت اللغة السائدة انذاك هي اللغة السومرية واللغة الاكدية وكان للازدواج اللغوي واستخدام اللغتين في آن واحد لتدوين مختلف النصوص أثره في زيادة تعقيد وصعوبة مهمة الكاتب والقارئ وكان تعلم اسلوب الكتابة من الامور الصعبة التي تحتاج إلى وقت طويل للتعلم والتي تم الكشف عن مئات من النصوص التعليمية التي عرفت بالمدرسة وكانت المدرسة تسمى بالمصطلح السومري (أي_دبّا) أي بيت الالواح في حين تسمى الطالب (دومو_ أي_ دبّا) أي ابن بيت الالواح.[٣١]شكل (١٢و١٣) .

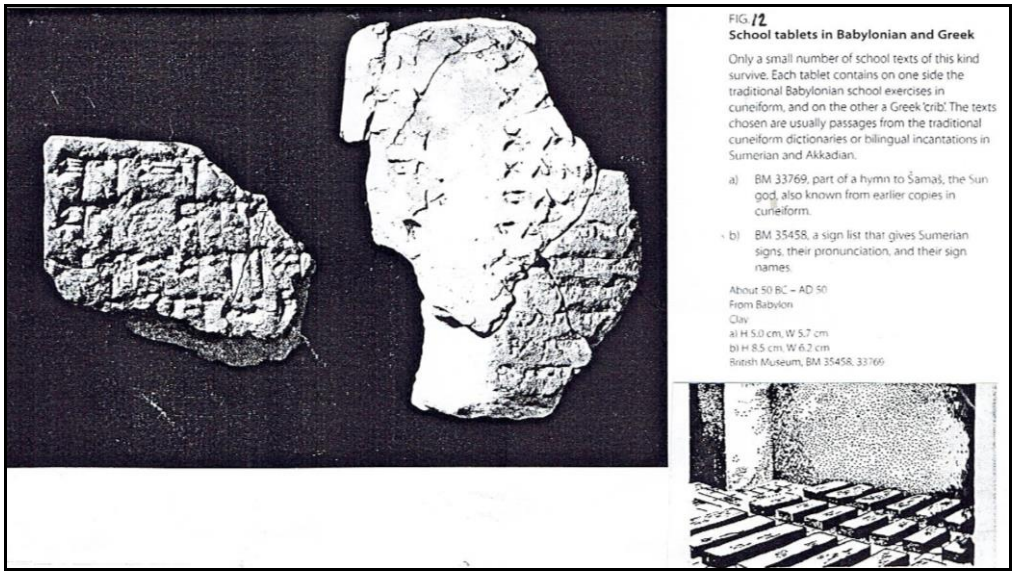
FIG. 12
School tablets in Babylonian and Greek

Only a small number of school texts of this kind survive. Each tablet contains on one side the traditional Babylonian school exercises in cuneiform, and on the other a Greek 'crib'. The texts chosen are usually passages from the traditional cuneiform dictionaries or bilingual incantations in Sumerian and Akkadian.

a) BM 33769, part of a hymn to Šamaš, the Sun god, also known from earlier copies in cuneiform.

b) BM 35458, a sign list that gives Sumerian signs, their pronunciation, and their sign names.

About 50 BC – AD 50
From Babylon
Clay
a) H 5.0 cm, W 5.7 cm
b) H 8.5 cm, W 6.2 cm
British Museum, BM 35458, 33769

Fig: (12) School tablets in Babylonian and Greek.

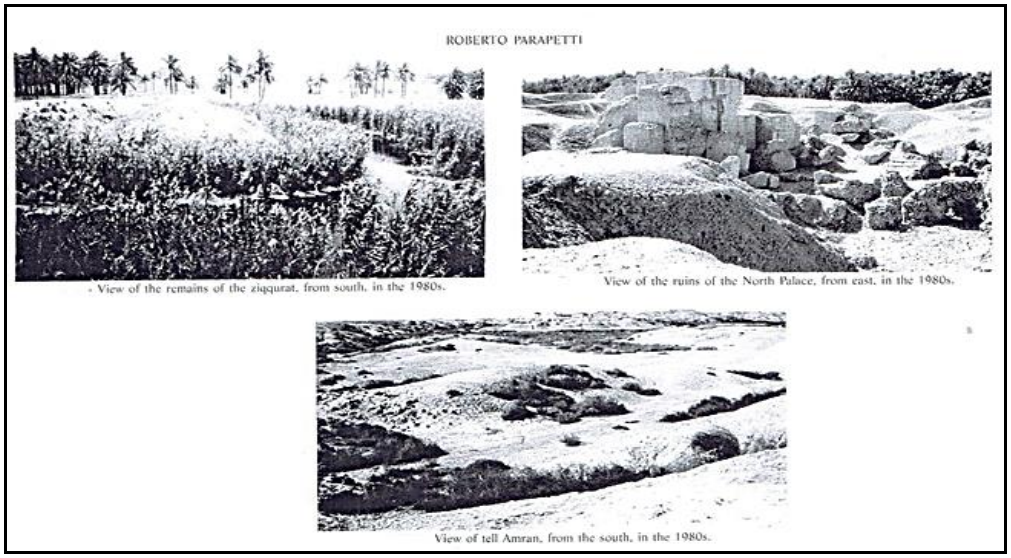

Fig : (13) View of the ruins of the North Palace, and the remains of the ziqqurat, and view of tell Amran, from the south, in the 1980s.

وكان التعليم يتم ومنذ فترات مبكرة من التاريخ في مدارس خاصة وربما كان يتم في بعض اجنحة المعابد او القصور او في بيوت خاصة. وكانت المدرسة يديرها مدير ويعينه في ادارتها وكيل مدير والمعلمون على اختلاف اختصاصاتهم وكان المتخرج من المدرسة يتفاخر بكونه قد تعلم فن القراءة والكتابة والمعارف الاخرى كالهندسة والحساب والطب والفلك، توجد بعض الاشارات في الالواح المسمارية تشير إلى تخطيط المدرسة البابلية التي تتكون من مقاعد من الطابوق مرصوفه بانتظام ومهيأة لجلوس الطلبة فوقها كما كانت بعض اجنحة المعابد والقصور تستخدم كأماكن للتعليم والتدريب على الكتابة والقراءة، ومن المؤلفات المدرسية التي خلفها لنا البابليون ما يمكن ان نسميه بالمعاجم اللغوية وهي عبارة عن جداول بالعلامات المسمارية ومعانيها باللغتين السومرية والاكدية وهناك معاجم اخرى بشرح الكلمات وشرح قواعد اللغة السومرية والاكدية واخرى جداول بأسماء الحيوانات والنباتات والاحجار واعضاء جسم الإنسان وغيرها. وفي نفس الوقت انتشرت خدمات المكتبة التي اعتبرت المغذي الثقافي للإنسان. وكان شكل الكتابة في مدينة بابل اتخذ شكل الصور وحفر الرسوم على الجدران وكانت الالواح الطينية تحفظ في رفوف او صناديق او سلال خاصة بها يوضع معها بطاقة تعريفية عبارة عن رقم صغير يشير إلى عنوان التأليف كذلك انتشر بين البابليين تعليم الموسيقى وآلات الطرب وكان لهم المسرح (المحكي) يسمى بالمسرح البابلي شكل (١٤) ويستدل مما مر ذكره ان تخطيط الخدمات التعليمية في مدينة بابل كان جلياً في الاهتمام من مدارس

ومكتبات ومسارح هذه تعطي دروساً في الفنون والعلوم وكيفية التعامل في المعاملات التجارية وفي العلاقات بين بابل والمدن والاقطار الاخرى. فكانت تعطي الدروس لأبناء بابل ليكونوا على معرفة ودراية وذلك لتسهيل امورهم الحياتية المدنية والعسكرية وفق ما خططته لهم الدولة. وكانت توجد مدارس خاصة تابعة للمعابد لتعليم مبادئ التطبيب.

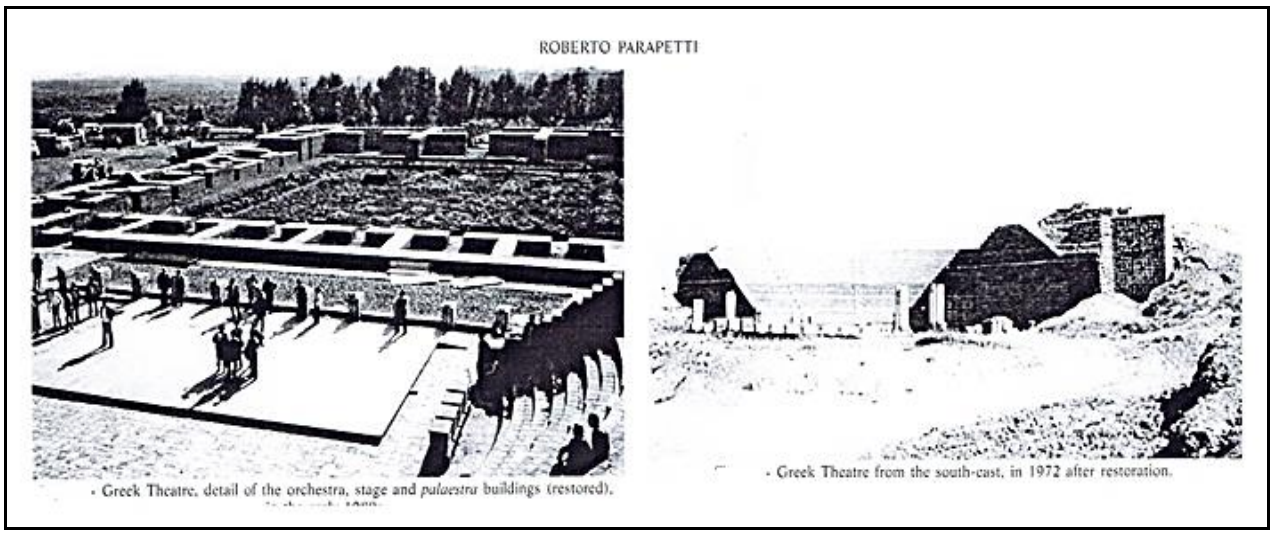

Fig: (14) Greek Theatre from the south – east, in 1972 after restoration, and detail of the orchestra, stage and palaestra buildings)restored) in the early 1988.

٦- تخطيط الحدائق:

كان تخطيط الحدائق في مدينة بابل واضحاً خصوصاً بعد ان اصبحت محجاً للعالم القديم، فقد خططت الجنائن المعلقة Hanging Garden كبناية غريبة التخطيط على هيئة مستطيل غير منتظم اطوال اضلاعه بلغ (٤٢م) وفي اعرض موقع (٣٠م) وبمساحة (١٠٠٠م٢) شكلت مدرجاً اصطناعياً يقوم على اعمدة حجرية ينتصب الواحد منها فوق الاخر لغاية (٢٥م) بلغت مساحة البناء (٧٨٤م٢) يقع البناء في الزاوية الشمالية الشرقية من القصر الجنوبي في الجانب الايسر من شارع الموكب وعلى مقربة من بوابة عشتار ، ترتبط البناية بالقصر بواسطة ثلاثة مداخل في الجهة الجنوبية والبناية ذات طراز معماري متميز، تتألف من (١٤) حجرة متوازية ومتشابهة معدل سعة الواحدة (٢,٢٠× ٣م) تتقابل كل (٧) غرف منها على طرفي ممر مع مثيلاتها مكونة بناية مستقلة عن الموقع ترتفع في سلسلة من مصطبات مدرجة فوق ابواب مقنطرة بارتفاع (٧٥ قدماً) والمبنى مبني كله ضد الرطوبة وذلك باستعمال القير والطابوق المفخور والرصاص لغرض حفظ العقود التي تحته جافه ثم غطت بطبقة من التراب إلى عمق يكفي زراعة حتى اشجار كبيرة وبقائها قائمة غرست باندر

واجمل النباتات شكل (١٥و١٦). إذ استطاع البابليون نقل بعض النباتات التي لم تكن معروفة فيه من قبل مثل الكروم وبعض أنواع التين وشجيرات الورد.(٣٣)

وقد عثر في احدى الحجرات الوسطى على بئر ذات ثلاث حفر الواحدة بجنب الاخرى، فسرت بان الماء كان يرفع منها بواسطة دولاب إلى الجنائن المعلقة التي اشتهرت بها مدينة بابل.(٣٤) وعدت احدى العجائب السبع في العالم من حيث التخطيط والتصميم والطراز المعماري والحضاري والتي اختيرت بالقرب من قصر الملك نبوبلاصر وقصور نجله نبوخذ نصر، هذه الجنائن شيدت من اجل زوجة نبوخذ نصر (امانس بنت استياكس) الماذي التي اعتادت العيش فوق الجبال الخضراء، ومن أشهر نباتات الحديقة الملكية في الجنائن المعلقة.

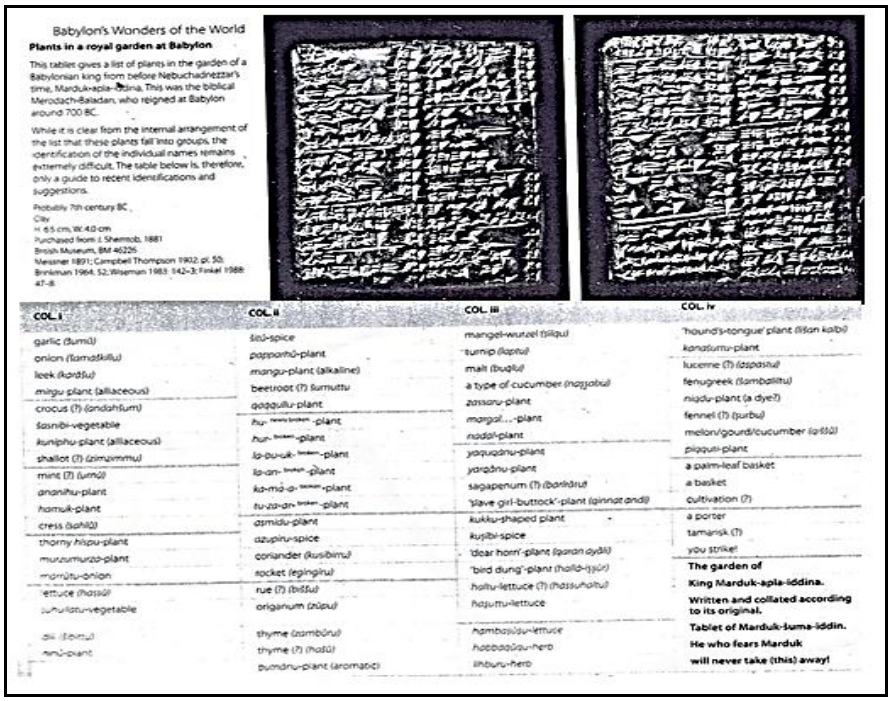

Fig: (15) Plants in a royal garden at Babylon.

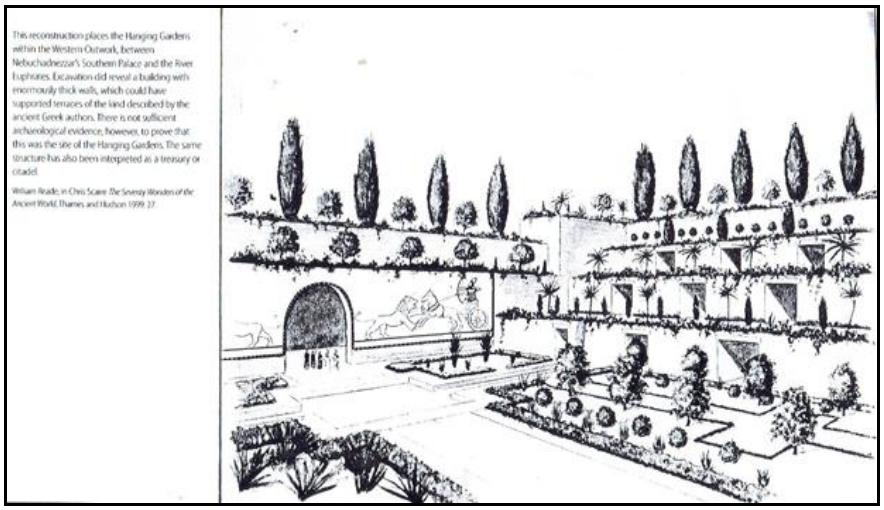

Fig : (16) Artis's impression of the Hanging Gardens in Nebuchadnezzar's Babylon.

هوامش البحث ومصادره :

١ – شريف ، ابراهيم، الموقع الجغرافي للعراق واثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي، ج٢، مطبعة شفيق، بغداد ، بدون تاريخ، ص ج–ء.

٢ –الياسري، وهاب فهد يوسف، اهمية الموقع في تخطيط المدينة العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة ، مركز التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد ، ١٩٨٨، ص١.

٣ – حمدان ، جمال، جغرافية المدن، ط٢، دار غريب للطباعة، عالم الكتب ١٩٧٧، القاهرة، ص٢٨٠– ٢٨٤.

٤ – حمدان، جمال، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، كتاب الهلال، سلسلة شهرية، العدد ١٩٦، ربيع الاول ١٩٦٧ ، القاهرة، ص١٤.

٥ – سوسة، احمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦، ص٨٤ .

6–Lowery, J.H. world city growth, Edward Arnold, London, 1977,p.12–13.

٧ –باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة، ج١، ط٢، مطبوعات دار المعلمين العالية، شركة الطباعة والتجارة المحدودة، بغداد، ١٩٥٥، ص٣٢٥.

٨– باقر، طه، مصدر سابق، ص٢٢٩.

9–Finkel, Irving, Michael Seymour, Babylon Introduction, British museum, 2008, London, p.15 .

10–Norris, R.E–keith and D.Horries, geography An Introductory perspective, U.S.A 1982.P.345 .

١١–بيلافسكي، ف، أ. اسرار بابل ، ترجمة رؤوف موسى جعفر الكاظمي، ط١، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد، ٢٠٠٨ ، ص١٨٤.

١٢– الياسري، وهاب فهد موسى ، مصدر سابق ، ص٥٥.

١٣- حماد، محمد ، تخطيط المدن ، تاريخية، ط١، القاهرة ، ١٩٦٥، ص٩٩.

١٤- الاحمد، سامي سعيد، المدن الملكية والعسكرية، المدينة والحياة المدنية ، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص١٤٩- ١٥٣.

15-Thomas Phillips, The city of Babylon, Babylon Introduction, British museum, 2008, London, p.34.

16-Gist, N,P. and Halbert, L,A, urban society, Thomas Y, Growell company, New York, 1949, p.27.

17-Blacke, G.H. and Lawless, R.I. The changing middle Eastern city, croom helm Ltd, London, 1980, p.12.

١٨- المرایاتي، كامل جاسم حمودي ، النمو الحضري واثره في البناء الايكولوجي لمدينة بغداد ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٩٢، ص٦٩.

١٩- رؤوف، باسم، فن التخطيط المعاصرللمدن ، الموسوعة الصغيرة (٥٨) ، دار الجاحظ للنشر ، شباط ، ١٩٨٠ ، بغداد ، ص٨.

20- Blacke.G.H. and Lawless, R, I. op. cit, p.12.

٢١- يوسف، شريف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢ ، ص١٦٤.

٢٢- ديواريت، ول، قصة الحضارة ، ج٢، ط٢، ترجمة محمد بدران مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص١٨٨- ٢٩٦.

٢٣- الاحمد، سامي سعيد، المدن الملكية والعسكرية ، مصدر سابق ، ص١٥٥.

٢٤- السياب، محمد، عمارة المدن البابلية في النصف الاول من الالف الاول ق.م. ، اطروحة دكتوراه باللغة البيلاروسيا، جامعة بيلاروسيا الحكومية ، ٢٠١٠ ، ص

٢٥- يوسف، شريف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ، مصدر سابق، ص١٥٦.

٢٦- سليمان، عامر، الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية في الازمنة التاريخية القديمة ، المدنية والحياة والمدنية، ج١، بغداد، ١٩٨٨، ص٢١٤- ٢١٠.

٢٧- يوسف، شريف، مصدر سابق ، ص١٦٥- ١٦٦.

٢٨- رؤوف، باسم ، فن التخطيط المعاصر للمدن ، مصدر سابق ، ص١٠.

29- Antonio Invernizzi, Giorgio Buccellati and Garlolippolis and Roberta U.R. Mesopotamia, Rivista DI Archeologia, EpigrafiaEstoriaorientaleAntica, Xlill, 2008, Torino, p.133.

٣٠- سليمان، عامر ، مصدر سابق ، ص٢١٩- ٢٣٢.

٣١- علي، فاضل عبد الواحد، حضارة بلاد وادي الرافدين ، اصالتها وتأثيرها في بلدان الشرق الادنى القديم، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣، ص٢٨٣- ٢٨٥.

32- Lloyd, S.Twin Rivers ABrief History of Iraq from the Earliest Times to the present Day, oxford university, 1943, P:32.

33- Stevenso, D.w.w. Aproposal for the Irrigation of the Hanging Gardens of Babylon, Iraq, Vol, Live, 1992, British school of Archaeology in Iraq, London, P:46.

Abstract :

The choice of the city of Babylon is a success for the ancient world because it lies between the desert on one hand and from the Tigris and the Euphrates on the other, as the middle of its location among the most intensive urban centers in Iraq. The importance of the location of the city has emerged through its growth and planning because it lies within a fertile area with fertile soil that helped the interaction of man with the earth produced his city and civilization and the art of architecture through the architecture of religious and public was the choice of the city on the Euphrates river in the atmosphere and temper the atmosphere in summer as we as the distribution of housing and the rest of the other land uses, the city was then a city of capitals and fortified cities in ancient Iraq and remained the capital of southern and central Iraq for long Periods, the area of (10 million) square meter (10 km^2) and the circumference of (16.5 km), distributed urban land uses between the right and left banks of the river in the city (24 streets) Two main orthodontic, most famous of which is the motorcade road which passes through the Ishtar Gate and ends at the zikonra (the stepped tower) the city of Babylon was marked as the capital of the Sami who had abandoned their homeland to Mesopotamia, which was called the Semitic Names (Gate of God) or (Bab EL).

The planners and the Babylon architects practiced their ideas and philosophy on the day when the city was needed to build the city according to its different purposes. The city's planning led to defensive, military, religions, political, commercial and scientific purposes, How did he feel? How did he think and his ability was implemented? Until Babylon prepared from the seven wonders of the greatness and philosophy of the art of planning and their land uses of its urban and urbanism.